الخطة الجهنمية

محمود سالم

الخطة الجهنمية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الخطة الجهنمية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٧٩٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
اختطاف	١١
مهمة ضد الزمن	١٧
معركة فوق الجبل	٢١
خدعة ... لثاني مرة	٢٧
مفاجأة ... وخطة جديدة	٣١
بين أشواك القنفذ	٣٧
أعظم رجل في العالم	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

اختطاف

كانت المهمة سهلةً هذه المرة، وربما لذلك أرسل رقم «صفر» مجموعة فتياتٍ من الشياطين للقيام بها في العاصمة الكينية «نيروبي».

كانت المرة الأولى التي يشتركُ فيها فريقٌ من الشياطين مكون من الفتيات فقط، وهنَّ: «إلهام»، و«هدى»، و«زبيدة»، و«ريما»، ربما لإحساس رقم «صفر» بأن المهمة ليست أكثر من رحلةٍ ترفيهيَّةٍ في العاصمة الكينية الجميلة، حيثُ حدائق الحيوانات الطبيعية المفتوحة ... بالرغم من أنَّ أية فتاة من فتيات الشياطين الأربع كانت قادرةً على أن تحُل مَحَلَّ فريقٍ كاملٍ من المقاتلين ... أو المقاتلات!

وعندما أنهت الفتياتُ الأربع مهمتهنَّ في وقتٍ قليلٍ انطلقن داخل سيارة جيب مغلقة مصفحة نحو حدائق الحيوانات المفتوحة في ضواحي «نيروبي» ...

كان المشهد رائعًا خارج السيارة الجيب التي انطلقت على مَهَلٍ داخل السهول والغابات المفتوحة ... كانت الزراف والغزلان والقردة تمرح معًا، وتلهو حول الأنهار الصغيرة ومنابعِ الماء ... كما كانت الفيلة تسير في جماعاتٍ فيفسح الجميع الطريق لها احترامًا ... وخوفًا.

وعندما دَوَّى زئيرُ أسدٍ جائعٍ شمل المكان رعبٌ شديدٌ، وانطلقت الحيوانات هاربةً بأقصى سرعتها ... فأقل تَباطُؤ قد يعني النهاية ... وحتى الطيور والصقور رأت أنَّه من الأفضل لها أن تحلق بعيدًا ...

واقترب الأسد على مَهَلٍ يَسود مِشْيته الهيبة والوقار ... ووقف لحظةً يَرْقُبُ سيارةَ الشياطين بعينين ضيقتين، كأنَّه يستنكر جرأتها ووقوفها في وجهه.

هتفت «إلهام» بسرور: يا له من مشهدٍ فريدٍ ... نحن نقف وأمامنا هذا الأسد الرهيب.

ريما: أظنُّ أنَّ الوضع كان سيختلف إذا لم نكن نحتمي داخل سيارتنا المصفحة.

قالت «هدى»: لقد صَادَفْنا بعضَ رجال العصابات ممن هم أخطر من الأسود ألف مرةٍ، ولكنَّنا تغلبنا عليهم.

وأدارت «زبيدة» محرك السيارة وانطلقت بها، ففزع الأسد وتراجع خطوتين، ثم أطلق زئيرًا غاضبًا كأنَّه يعلن احتجاجه على ذلك الحيوان المعدني الذي اقتحم عليه مملكته بلا أدنى قدْرٍ من الاحترام.

أمضت الفتيات الأربع بقية اليوم في التجوُّل داخل الغابات المفتوحة، يلتقطن الصور والأفلام، وقبل الغروب استدرن بسيارتهنَّ عائداتٍ إلى فندق «السماء الزرقاء» الذي كُنَّ يُقمنْ فيه ... وكان من المقرر عودتهنَّ إلى القاهرة صباح اليوم التالي.

وقالت «ريما» في طريق العودة: ما رأيكنَّ في قضاء يوم آخر في «نيروبي» وصعود «جبل كينيا»؟ إنَّهم يقولون إنه مكان ساحرٌ رائعٌ، وبه أشهر فندق في العالم، فيه الكثير من المشاهير.

زبيدة: إنَّ هذا الأمر يحتاج إلى إِذْنٍ من رقم «صفر».

هدى: إنَّه لن يمانع، فليست هناك أية مهام تنتظرنا في القاهرة ... بل إنَّني أقترح مد إقامتنا في «كينيا» وزيارة مدينة «ممباسا» الساحلية المطلة على المحيط الهندي، فهي رائعة ...

والتفتت نحو «إلهام» متسائلة: ما رأيك يا «إلهام»؟

ولكنَّ «إلهام» كانت تشعر بصداع يدق رأسها، وبأنَّ درجة حرارتها ترتفع فأغمضت عينيها بشيء من الألم، وهتفت بها «زبيدة»: «إلهام» ... ماذا بك؟ هل أنت مريضة؟

قالت «إلهام» ببطء: إنَّني أشعر بصداع وارتفاع في درجة حرارتي ... من الأفضل العودة إلى الفندق بأسرع ما يمكن.

ضغطت «زبيدة» فوق دواسة البنزين فانطلقت السيارة بأقصى سرعتها كوحش هائج، فأفسحت بقية السيارات الطريق أمامها، وصاح أحد سائقيها وهو يراقب السيارة الجيب المندفعة بسرعةٍ هائلةٍ: يا لهم من مجانين هؤلاء الذين يركبون تلك السيارة الجيب!

وصلت الفتيات إلى الفندق أخيرًا، وأسرعت «هدى» بعمل كمادات مياه مثلجة لـ «إلهام»، ولكن درجة حرارتها ظلت مرتفعة، ولم يفلح الأسبرين في تخفيف حدة الصداع.

قالت «هدى» بقلق: إن الأمر بحاجة إلى استدعاء طبيب.

أجابت «إلهام»: لا داعي لذلك ... من الأفضل أن نُعجِّلَ بعودتنا إلى القاهرة ... «زبيدة» أرجو الاتصال برقم «صفر» فورًا لإرسال طائرة خاصة بالشياطين للعودة بنا بأسرع ما يمكن، فأنا أشعر أنَّني أُصبْتُ بأحد الأمراض الاستوائية الغامضة.

وأغمضت عينيها في أَلَمٍ قائلةً: إنَّني أشعر بحالتي تسوء أكثر، والصداع يكاد يُفجر رأسي. وأسرعت «زبيدة» إلى جهاز الإرسال، وأخذت تُملي رسالةً مختصرةً بالشفرة إلى رقم «صفر» تُبْلغه بمرض «إلهام» ووجوب إرسال طائرة خاصة بأسرع ما يمكن.

وفي الحال جاءها الردُّ بأنَّ هناك طائرةً خاصةً ستنطلق خلال دقائق من مقرِّ الشياطين السريِّ لتصل إليهم خلال ثلاث ساعات، وأنَّها ستهبط في مطار «نيروبي» وسوف تكون مُجهزة طبيًّا لعلاج «إلهام» لحين وصولهنَّ إلى المقر السري.

على الفور بدأت الفتيات الأربع في جمع أشيائهنَّ ووضعها في حقائبهنَّ، وبعد ساعتين كانت سيارتهنَّ الجيب تنطلق صوب المطار بأقصى سرعتها، و«إلهام» قد أغمضت عينيها وهي تحس كأنَّ نارًا حارقةً اندلعت فيهما.

وأخيرًا وصلت السيارة الجيب إلى المطار، واندفعت الفتيات الأربع وأنهين إجراءاتهن في ثوانٍ قليلة واندفعن إلى أرض المطار.

وفي الموعد تهادت طائرةٌ صغيرة فوق أرض المطار، وما إن توقفت حتى انفتحت أبوابها، وقفز من داخلها شخص يرتدي معطفًا أبيض، ونظارةً طبيةً، كان من الواضح أنه طبيب وخلفه ممرضة تمسك بجهاز تنفس، وأنبوبة أكسجين، وأسرع الاثنان نحو «إلهام» وقال لها الطبيب: لا تخشي شيئًا، إنَّ الطائرةَ مجهزةٌ.

ووضعت الممرضة الكمامة فوق وجه «إلهام» وساعدتها على دخول الطائرة، وتمددت «إلهام» فوق فراش وثير. وقد بدأ الطبيب يقوم بعمل كمادات مثلجة لـ «إلهام»، والممرضة تقيس نبضها وضغطها. وكان وجه «إلهام» الذي تحول إلى اللون الأحمر من ارتفاع الحرارة يَشي بمعاناتها، ولم تحتمل «زبيدة» المشهد، فانفجرت باكية، فاحتضنتها «هدى» برفق، وقالت لها: سوف تشفى «إلهام» بإذن الله.

وكانت بقية الفتيات يشعرن بالألم الشديد، فلأول مرة يقع أحد الشياطين فريسة للمرض وهم في أرض غريبة لا يملكون شيئًا يقاومون به المرض.

ودرجت الطائرة فوق أرض المطار، ثم انطلقت في الفضاء المعتم بعد أن سقط الليل على العاصمة الهادئة.

وتحركت «ريما» قلقةً نحو قائد الطائرة وسألته: هل ستستغرق رحلة العودة كثيرًا؟ إن معنا مريضًا، وكل دقيقة تمر لها قيمتها.

أجابها القائد: لن تستغرق الرحلة طويلًا، فلا تقلقي.

وعادت «ريما» إلى مكان «إلهام»، وما كاد ترمومتر الحرارة يشير إلى أنَّها تجاوزت الأربعين درجةً حتى ظهر الخوف الشديد والتوتر على وجوه الفتيات «ريما» و«زبيدة» و«هدى».

وهتفت «زبيدة» بفزع: ألا يمكن فعل شيء لخفض درجة الحرارة؟

الطبيب: إنَّنا نبذل ما في وسعنا.

وأخرجت المرضة من حقيبتها حقنة صغيرة بها مادة صفراء حقنت بها «إلهام» ... وبعد ثوانٍ وَضَحَ أنها استسلمت لنوم عميق.

قال الطبيب: هذا أفضل حتى لا تتألم من ارتفاع درجة حرارتها والصداع.

هدى: ولكن ما هو المرض الذي تعانيه؟

أجاب الطبيب: لن يمكننا معرفته قبل إجراء فحص كامل لها.

وساد صمت ثقيل، وعيون «هدى» و«ريما» و«زبيدة» مسلطة على «إلهام» الغائبة عن وعيها، وكلٌّ منهنَّ تَعد الثواني والدقائق المتبقية على وصولهن إلى مقر الشياطين.

ولكن، وقبل أن تمضي نصف ساعة، بدأت الطائرة تحلق في دوائر متسعة حول نقطة ما بأسفلها، قبل أن تشرع في الهبوط الحاد.

تساءلت «هدى» ذاهلة: هل وصلنا بمثل هذه السرعة؟

لم يجب الطبيب وارتسمت في عينيه نظرة حادة.

قالت «زبيدة» بقلق: أين نحن؟ لا يمكن أن نكون قد وصلنا إلى المقر السري بمثل هذه السرعة ... سوف أذهب إلى الطيار وأسأله و...

وقبل أن تتحرك «زبيدة» أوقفها المسدس الذي أشهره الطبيب والمدفع الرشاش الصغير الذي أخرجته المرضة من حقيبتها وصوبته نحو الفتيات الثلاث.

وقال الطبيب بصوتٍ أجشَّ: من الأفضل لكُنَّ البقاءُ هادئات، وإلَّا فستمُتنَ بضغطةٍ واحدة من سلاحنا ... إن لهفتَكنَّ على صديقتِكنَّ المريضة أَنسَتكنَّ واجبَ الحذر، فاندفعتنَّ إلى الشَّرَكِ بغباء.

قالت «هدى» ذاهلةً: هذه الطائرة ليست تابعة لنا ... وأنتما مزيفان.

أجابت المرضة بصوت رهيب: هذا صحيح تمامًا ... والتعليمات التي لدينا واضحة وصريحة، وهي أنَّ أي مقاومة منكنَّ معناها الموت الفوري.

وهنا انتبهت «ريما» ذاهلة إلى الشارة التي لم تنتبه إليها والتي كانت واضحة فوق قبضة المدفع الرشاش ... كانت شارة عصابة «سادة العالم».

وكادت «زبيدة» تندفع نحو العدوين في لحظة غضب، فأسرعت «ريما» لتمسك بها، وبلغة العيون قالت لها: إنَّ المقاومة قد تعني قتل «إلهام» الغائبة عن وعيها ... إن الاستسلام هو أفضلُ الحلول.

وفي نفس الوقت كانت الطائرة قد استقرت فوق مدرج متعرج يحيطه الظلام، وما كادت تستقر في مكانها حتى اندفع حولها عشرات من الرجال المسلحين بمدافعهم الرشاشة يحيطون بالفتيات الثلاث، و«إلهام» ممددة فوق النقالة غائبة عن وعيها.

كانت المقاومة في هذه اللحظة تعد عملًا جنونيًّا بالفعل قد يكلف الفتيات الثلاث حياة «إلهام» على الأقل، فاستسلمن في صمت.

وظهرت سيارة تضيء كشافاتها تتبعها سيارات أخرى، ودفع المسلحون بـ «زبيدة» و«هدى» و«ريما» في السيارة الأولى، و«إلهام» الممددة فوق نقالتها داخل السيارة الثانية ... وأحاطت بالسيارتين مجموعة من السيارات المليئة بالمسلحين.

وبدأت السيارات تشق طريقها وسط الغابات إلى جهة مجهولة.

مهمة ضد الزمن

كانت دهشة الشياطين غير عادية عندما استدعاهم رقم «صفر» من مخادعهم ... في منتصف الليل بالضبط ... وجلس الشياطين التسعة في قاعة الاجتماعات وهم يعلمون أنَّ مجموعة الفتيات «إلهام» و«ريما» و«زبيدة» و«هدى» في مهمة بكينيا.

وكان كل منهم يتساءل بينه وبين نفسه عن تلك المهمة العاجلة التي أيقظهم من أجلها رقم «صفر» في مثل هذه الساعة من الليل، ولم يكن يتخيل أحدهم ولو بنسبة واحد في المائة أنَّ تلك المهمة العاجلة تتعلق بإنقاذ بقية الشياطين ... الفتيات الأربع اللواتي اختطِفنَّ بخدعةٍ بسيطةٍ.

تبادل الشياطين التسعة نظرات ذاهلة، وأكمل رقم «صفر» بصوت يخلو من المشاعر: لو كانت الفتيات الأربع في حالتهنَّ العادية لانتبهن قبل ركوب الطائرة المزيفة، وما انخدعن بمثل هذه السهولة، ولكنَّ مرض «إلهام» المفاجئ وخوفهنَّ عليها هو الذي ساقهنَّ إلى الشَّرَكِ بلا وعيٍ.

وهنا تصاعد توتر بقية الشياطين إلى ذروته، خاصةً عندما عرفوا أن «إلهام» مريضة أيضًا، أحس «أحمد» بالدماء تصعد إلى رأسه باندفاع شديد وأنه لا يطيق الانتظار في مكانه، فقال بصوت مختنق يسأل رقم «صفر»: وما هو مرض «إلهام»؟

رقم «صفر» حتى الآن لا نعرف، ولكنَّ رسالة «زبيدة» التي استنجدت فيها بنا أَشَارت إلى أنَّ «إلهام» أصيبت بارتفاع درجة حرارة شديدة مصحوبة بصداع شديد، وهي أعراض يمكن أن تصاحب عشرات الأمراض، خاصةً الأمراض الاستوائية، سواء المعروفة أو المجهولة ...

إنَّ «إلهام» تعاني من مرض قد يكون خطيرًا ... وربما يكون الوقت هو العامل الحاسم في الأمر.

وسَادَ صمتٌ رهيبٌ ... ولأول مرة يشعر الشياطين أنَّ الخطر المحيط بأحدهم هذه المرة ... خطرٌ شديدٌ، وصراعٌ مع الوقت في نفس الوقت.

وقال رقم «صفر»: إنَّ الملابسات تدل على أنَّ المُخْتَطِفِين كانوا يراقبون الفتيات الأربع، وربما كانوا يخططون لخطفهنَّ قبل عودتهنَّ إلى المقر السريِّ للشياطين، ولا بد أنَّ خطة المُخْتَطِفِين قد تعدلت بعد التقاط رسالة «زبيدة».

عثمان: وهذا يعني أنَّهم قادرون على التقاط رسائلنا.

رقم «صفر»: للأسف فإنَّ هذا الاستنتاج يبدو صحيحًا وسوف نقوم بتصحيح وتغيير موجات إشاراتنا ورسائلنا، وهذا ما يعكف عليه قسم الاتصالات السرية الآن، ومن الواضح أنَّ من قام باختطاف الفتيات الأربع يخطط لتسديد انتقام شديد إلى الشياطين الـ ١٣ ومنظمتهم.

أحمد: ولكنْ أليست هناك أية معلومات عن المكان الذي اختُطِفَت فيه الفتيات؟

أجاب رقم «صفر»: حتى الآن ليست هناك معلومات محددة، ولكنْ من المؤكد أنَّهنَّ لم يذهبنَّ بعيدًا، بدليل أنَّ الطائرة جاءت من مكان قريبٍ، وهذا يعني أنَّهنَّ انطلقن من «كينيا» ذاتها، بل وربما من العاصمة «نيروبي» نفسها ... ولا شك أنَّها عادت إلى نفس المكان الذي انطلقت منه ... وهذا يعني أنَّ الفتيات الأربع لا يزلنَّ في كينيا ... إنَّ منطقة البحث هائلة الاتساع ... والوقت ضيقٌ وثمينٌ، ولا يسمح بأي ضياع للوقت.

قيس: ولكنْ يا سيدي أليست هناك أية معلومات عن هوية المختطفين؟

أجاب رقم «صفر» في هدوءٍ: منذ أيام قليلة جاءتنا معلومات عن أنَّ منظمة «سادة العالم» استطاعت إعادة تكوين نفسها بعد سلسلة الضربات الشديدة التي وجهناها لها، وتمكنت بفضل زعيم قوي تولَى أمورها من أن تستعيدَ قوتها، وتفرض سيطرتها على بعض نقاط قوتها القديمة ... وكان من أهم المعلومات التي وصلتنا هي أنَّ الزعيم الجديد لسادة العالم وضع هدفًا أوليًّا جنَّد كلَّ المنظمة من أجل تحقيقه مهما كلفها من مال وجهد ... وهذا الهدف هو تدمير الشياطين الـ ١٣.

سَادَ الصمت للحظات، حتى إنَّ صوت تنفس الشياطين كان يسمع بوضوح، وأكمل رقم «صفر»: وكنت أنوي تحذيركم، ووضع خطة مناسبة لمواجهة التحدي ... ولم أكنْ أدري أنَّ منظمة «سادة العالم» سوف يتحركون بمثل هذه السرعة والمهارة.

فهد: سوف ندمرهم مرةً أخرى كما دمرناهم من قبل.

رقم «صفر»: إنَّ مهمتكم القادمة ستكون مهمة مزدوجة ... تدمير «سادة العالم» حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك ... وإنقاذ الفتيات الأربع بأسرع وقت ممكن.

تساءل «باسم»: ولكنْ من هو الزعيم الجديد للمنظمة؟ ... هل تعرفه؟ هل هو أحد قادتها الصغار الذين اشتبكنا معهم من قبل؟

رقم «صفر»: لا ... إنه شخصية جديدة تمامًا، وقد استطاع الوصول إلى قيادة المنظمة بذكائه الحاد، فهو وإنْ كان شرس الطباع، دموي الأخلاق، إلا أنَّه يتمتع بذكاء شديد أَهَّلَه للصعود من زمرة الأشخاص العاديين في الصفوف السفلى بالمنظمة إلى منصب الزعيم ... ولعلَّ خطته لاختطاف الفتيات الأربع تدل على مهارته ... وهو يُدعى «كارلو» ويطلقون عليه القنفذ؛ لبشاعة منظره.

وصَمَتَ رقم «صفر» أقل من ثانية ثم قال: إنَّ خطة «القنفذ» تُوحي أنَّه لم يشأ الدخول في صراع وجهًا لوجه مع الشياطين، بل خطط ليَخطف بعضَهم، ثم يواجه بقية الفريق عندما يسعى إلى إنقاذ الجزء الأول ... إنَّ المسألة كما تدرون شَرَكٌ قد تم نصبه بإحكام، وعلينا أنْ نَدْخُلَه بإرادتنا فليست أمامنا وسيلة أخرى.

قال «أحمد» بصوت يَشي بالغضب الشديد: ونحن مستعدون تمامًا.

رقم «صفر»: كما أخبرتكم فليست هناك أية معلومات محددة عن المكان الذي اختُطِفَت إليه الفتيات، وسيكون لكم مطلق الحرية في البحث والوصول إلى مقر العصابة، وإن كنتُ لا أشك أنَّ العصابة ستسعى خلفكم أيضًا أينما ذهبتم ... وربما يكون في ذلك تسهيلًا لمهمتكم ... أو القضاء عليها ... سوف يسافر إلى «نيروبي» على الطائرة الخاصة التي تنتظركم خارج المقرِّ مجموعةٌ مكونة من ستة أفراد، وهم: «أحمد» و«عثمان» و«قيس» و«فهد» و«خالد» و«مصباح» ... أما الباقون فهناك مهمة أخرى تنتظرهم.

ظهرت الدهشة على وجوه «بو عمير» و«باسم» و«رشيد» وهم يتعجبون كيف استثناهم رقم «صفر» من مهمة إنقاذ زميلاتهم، وهل هناك أية مهمة يمكن أن تعادل تلك المهمة؟! ولكنَّهم كتموا مشاعرهم بسرعةٍ، فلم يكن للشياطين الاعتراض على الأوامر قط.

واندفعت المجموعة التي اختارها رقم «صفر» لإنقاذ الفتيات الأربع نحو أبواب الخروج في لهفة وسرعة ... لقد بدأ سباقُهم مع الزمن.

معركة فوق الجبل

غادر الشياطين طائرتهم الخاصة، وفي دقائق كانوا يغادرون المطار في سيارة تاكسي، وسألهم السائق بلغة إنجليزية سليمة: إلى أين أيها السادة؟

أجابه «أحمد» في اقتضاب: فندق «السماء الزرقاء».

لم يكن هناك مجال لمزيد من الأسئلة، وجلس الشياطين في أماكنهم وهم يُقَلِّبون شتى الأفكار في رءوسهم، تُرى هل سيخدمهم الحظ فيجدون في الفندق أيَّ خيط يُرشدُهم إلى مكان الفتيات؟! وهل لا تزال العصابة تراقب المكان على أمل وصول بقية الشياطين؟!

كان الشياطين السِّتَّة يأملون في ذلك، ومن أجل هذا كان اختيارهم لفندق «السماء الزرقاء» للإقامة فيه ... كانوا لأول مرةٍ يتمنون أنْ يكون هناك من يطاردهم ويراقبهم، ويتحمسون للدخول في معركة بأي ثمنٍ.

وظهرت أمام أعينهم خارج التاكسي معالم «نيروبي» ... وكانت المدينة من الطراز الأوروبي والحداثة، بشوارعها العريضة، وعماراتها الضخمة المبنية على أحدث طراز، وواجهات المحلات التي تحمل أسماء إنجليزية صحيحة ... وفي المقابل كان هناك الطابع المميِّز للمدن الأفريقية في الشوارع الجانبية والخلفية بالمنازل الصغيرة المتلاصقة، وبعضها مبني من الخشب أو الطوب النيء، والسكان الذين ارتدوا ملابسهم الوطنية، وبعض القردة التي راحت تقفز هنا وهناك من فوق رءوس الأشجار القريبة فلا تثير الانتباه.

أخيرًا توقف التاكسي أمام الفندق، وغادره الشياطين فوجدوا سيارتهم الجيب المصفحة قد سبقتهم إلى هناك، ولم يكن هناك كثير من النزلاء في بهو الفندق، وفي دقائق كانوا يحتلون الحجرتين اللتين كانت تشغلهما الفتيات الأربع، ولكنْ ... لم يكن هناك أيُّ دليلٍ أو رسالةٍ ترشدهم في مهمتهم الصعبة.

أطلَّ «أحمد» برأسه من إحدى النوافذ المطلة على الطريق، كان الفجر يوشك على البزوغ، وقد ساد السكون الشوارع المحيطة بالفندق الصغير، ومن الخلف بَدَت غابة صغيرة مظلمة.

وقال «أحمد» لرفاقه: هناك من يحوم حول المكان.

وبسرعة أطلَّ بقية الشياطين من فتحات النوافذ ... كان هناك بالفعل شاب طويل أسمر اللون يتلصص بالقرب من مدخل الفندق، وهو يلقي خلسةً نظرات مريبة نحو حجرتي الشياطين.

هتف «عثمان» في حماس: ها قد بَدَأ الحظ يخدمنا ... سوف أُسرع بالقبض عليه.

أحمد: سآتي معك.

ونظر إلى بقية الشياطين قائلًا: وأنتم عليكم بحماية ظهرنا، فقد يكون هناك بعض أفراد العصابة مختبئين في مكان ما.

وبِخِفَّة غادر «أحمد» و«عثمان» حجرتهما، وصعدا إلى أعلى الفندق، ثم نزلا على مواسير الغاز الخلفية هابطين إلى الحديقة الخلفية للفندق، وقفزا منها إلى الطريق كأنهما قردان ماهران، وما كاد الشباب الأسمر يلمحهما على ضوء الفجر حتى اتسعت عيناه ذهولًا وهو يظن أنهما هبطا من السماء، فاندفع جاريًا بأقصى سرعته، ولكن «بطة» «عثمان» حسمت المسألة وكانت أسرع من قدميه ... فسقط الشاب الأسمر على الأرض، بينما اندفع الشيطانان نحوه، والتقط «عثمان» كرته المطاطية، على حين رفع «أحمد» الشاب من مكانه، وكانت معالم الألم مرتسمة على وجهه من إصابة «بطة» «عثمان» له، وصاح به «أحمد» بصوت غاضب: لقد كنت تراقبنا ... أليس كذلك؟

أجاب الشاب وهو يرتعد: أنا ... أنا لا أعرف عنكم شيئًا.

وفي لحظةٍ خاطفة أخرج سكينًا طويلًا من حزام في ساقه وصوَّبها نحو قلب «أحمد» ... ولكنَّ حركة «أحمد» كانت أسرع، فأطاح بالسكين قبل أن تمسه، وصوب ضربة قاسية إلى الشاب، فترنح إلى الخلف متألمًا بشدة، وبضربة أخرى أطارت الشاب ليصطدم بالحائط خلفه وتهاوى فوق الأرض.

وأمسكه «عثمان» وصاح فيه: أين أخفيتم الفتيات؟ انطق أيها الغبي! وتحشرج صوت الشاب من قبضة «عثمان» القوية ونطق أخيرًا بصوت ضعيف قائلًا: «جبل كينيا».

وما كاد الشاب ينطق بعبارته هذه حتى دَوَّى صوت رصاصة مجهولة، وسقط على إثرها قتيلًا في الحال.

تطلع «أحمد» و«عثمان» حولهما في ذهول، لم يكن هناك أحد حولهما ... فمن الذي أطلق الرصاصة القاتلة؟! واندفع بقية الشياطين نحوهما، وسألهم «عثمان»: هل أطلق أحدكم رصاصة على الشاب؟

ولكنَّهم نفوا ذلك، وقال «قيس»: لا بد أنْ أحد أفراد العصابة أطلقها على زميله حتى لا يشي بالمكان الذي أخفوا فيه الفتيات ... هيا بنا فلا وقت لإضاعته.

وعندما أضاءت السماء بنور الفجر، كان الشياطين الأربعة يستقلون سيارتهم الجيب منطلقين بها بسرعة بالغة باتجاه «جبل كينيا» خارج العاصمة.

كانت سيارة الشياطين أشبه بترسانة أسلحة، وقد حملوا بداخلها عددًا كبيرًا من المدافع الرشاشة والرصاص والقنابل اليدوية، بل وعددًا من الصواريخ الخفيفة المحمولة فوق الأكتاف.

كانوا يعرفون تمامًا أنهم ذاهبون إلى معركة ... قد تحدد مصيرهم إلى النهاية.

استغرق وصول الشياطين إلى مشارف الجبل وقتًا ... وظهرت الغابات خلفهم ممتدة إلى ما لا نهاية، والجبل أمامهم متسع عريض يرتفع إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف متر.

قال «فهد» بقلق: سوف يستغرق صعودنا الجبل وقتًا.

أكمل «مصباح»: بالإضافة إلى أننا نجهل في أي موضع اتخذت العصابة وكرها.

عثمان: كل هذا لا يهم ... إنَّ الجبل أمامنا، والعصابة تختفي في جزء منه ... وعلينا العثور على مكانها مهما كانت المصاعب.

واندفع إلى الأمام شاهرًا مدفعه الرشاش، وتبعه بقية الشياطين ... وفي النهاية سَارَ «أحمد» خلف زملائه، وكان واضحًا أنَّه يفكر في شيء ما.

بدأ الشياطين الستة تسلق الجبل، وكانت المهمة سهلة في البداية، ولكنَّها مع الوقت أخذت تزداد صعوبة؛ لانحدار صخوره ووعورتها ... وقرابة الظهر كانوا قد تمكنوا من الصعود إلى منتصفه تقريبًا، وأخذت الشمس ترسل عليهم نارًا ملتهبة، ولكنَّهم مع ذلك واصلوا صعودهم بلا هوادة.

وفجأةً صاح «أحمد»: حاذروا.

ومن أعلى بدا وكأنَّ هناك انفجارًا في قمة الجبل، واندفعت آلاف الصخور نحو الشياطين من أعلى الجبل لتحصد كل شيء في طريقها.

ألقى الشياطين بأنفسهم محتمين خلف صخرة كبيرة بدأت تهتز أمام سيل الأحجار المتساقطة ... وفي اللحظة المناسبة ألقى الشياطين الستة بأنفسهم داخل فُوَّهة كهفٍ صغيرٍ

نحتته الطبيعة في الجبل، قبل أن تتزحزح الصخرة التي كانوا يحتمون خلفها ... ولو بَقَوا ثوانيَ قليلة في مكانهم الأول لسحقتهم تحتها.

وبعد وقت خفت الانهيارات وعاد السكون يشمل المكان ... وتلاقت أنظار الشياطين. كان من الواضح لهم تمامًا أن ذلك الانهيار كان بفعل العصابة.

وخرج الشياطين من مخبئهم ... وجز «مصباح» على أسنانه، وهو يقول: سوف نكمل صعود الجبل، ولو انهار كله علينا ... من الواضح أن مركز العصابة في قمة الجبل وهم يحاولون منعنا من الوصول إليه بأية طريقة.

أسرع الشياطين الستة يواصلون تسلق الجبل.

فجأةً انطلق نحوهم سيل من الرصاص يأتي من أعلى الجبل، وألقى الشياطين بأنفسهم خلف بعض الصخور، كانوا في مكان شبه مكشوف في العراء، وعدوهم يصوب رصاصاته إليهم في وضع أفضل، وهم لا يقدرون على الظهور لمواجهته.

وصاح «فهد» في غضب: هؤلاء الملاعين لماذا لا يواجهوننا وجهًا لوجه؟

أحمد: إن القنافذ من عادتها الاختفاء وترك أشواكها تتكفل بأعدائها.

عثمان: حسنًا ... سوف نقتلع هذه الأشواك.

وألقى بقنبلةٍ يدويةٍ، أتبعها بأخرى لأعلى، وانفجرت القنبلتان، ولكن سيل الرصاص المنهمر نحوهم لم يتوقف.

وقال «أحمد»: أعتقد أن المسألة بحاجة إلى أكثر من القنابل اليدوية.

وجهَّز صواريخه المحمولة على الكتف، وثبتها فوق ظهره جيدًا، وأخذ يزحف مبتعدًا عن مكان الشياطين ومحاذرًا ألا يكون في مدى رؤية مهاجميه ... وأخيرًا نجح في الالتفاف حول المكان، وبخفة نَمِرٍ بدأ يتسلق بعض الصخور الخلفية، وأخيرًا انكشف له مهاجموه ...

كانوا ستة قد احتموا خلف صخرة كبيرة عالية راحوا يصوبون من خلفها رصاصهم نحو الشياطين ... وصوَّب «أحمد» مدفعه الصاروخي، وصاح: أنتم أيها الأغبياء!

والتفت الأعداء مذهولين ليواجهوا الصاروخ الموجه نحوهم ... وقبل أن يفكر أحدهم حتى في أن يتلو صلاته الأخيرة ضغط «أحمد» على زناد مدفعه، فانطلقت القذيفة نحو الصخرة، وانفجرت فيها بصوت مدَوِّي، وتناثرت إلى آلاف الشظايا.

وعندما انقشع الدخان واللهب لم يكن هناك أي أثر لأفراد العصابة الستة.

ومرةً أخرى واصل الشياطين صعودهم لأعلى الجبل.

وأخيرًا خطوا بأقدامهم فوقه ... وانكشفت لهم القمة ... متعرجة، ضيقة، شديدة الانحدار والخطورة، وقد نبتت بعض الأشجار الصغيرة هنا وهناك ... والسماء الصافية

عالية لا تزال بعيدة ... والسهول بأسفل تبدو كقطعة نسيج خضراء تشتبك فيها أشجار الغابات البعيدة ولكن ... لم يكن هناك أي أثر لعصابة «سادة العالم»!

تأمل «عثمان» المكان حوله وقال بدهشة عظيمة: ولكن أين هي العصابة؟ وأين يوجد مقرها؟

فهد: لعلهم يختبئون في مكان ما حولنا.

خالد: لا أظنُّ ذلك ... إنَّ «سادة العالم» ليس من طبيعتهم الاختفاء عندما يصل عدو إلى وكرهم.

تكلم «أحمد» ببطء أخيرًا، وقال: لقد حدث ما كنت أخشاه ... كانت المسألة تبدو لي كما لو كانت مرتبة بحيث يتم جرنا إلى هنا.

مصباح: ماذا تقصد يا «أحمد»؟

أحمد: ذلك الشاب الذي أخبرنا بوجود العصابة في هذا المكان ثم قتل برصاصة مجهولة ... والانهيار الجبلي الذي أقنعنا بمواصلة الصعود لأعلى ... وأفراد العصابة الذين حاولوا قتلنا بالرصاص ... كلُّ هذه الأشياء كانت تبدو مرتبة بحيثُ تزيد من إغرائنا لصعود قمة الجبل، ونحن نظنُّ أنَّ العصابة تختفي فيها.

عثمان: ولكنْ لماذا؟! وما الذي جعل العصابة تستدرجنا إلى هذا المكان؟!

أحمد: ليست هناك سوى إجابة واحدة ... وهي أنَّ زعيم «سادة العالم» قد وضع خطته الأخيرة للتخلص منَّا في هذا المكان!

ولم يكد «أحمد» ينتهي من عبارته ... حتى بدأ هجوم العصابة بالفعل!

خدعة ... لثاني مرة

فجأةً ظهر في الأفق نقطتان صغيرتان أخذتا تقتربان شيئًا فشيئًا، وصوتهما يزداد وضوحًا.

وصاح «عثمان»: إنهما طائرتان هليوكوبتر ... لا شك أنَّهما ستهاجمانا.

وأسرع الشياطين بإلقاء أنفسهم خلف مجموعة من الشجيرات الصغيرة، عندما انطلق سيلٌ من الرصاص يحصد قمة الجبل ... كان مكان الشياطين مكشوفًا ولا حماية لهم، وهنا تأكد الشياطين الستة من شدة ذكاء زعيم «سادة العالم» الجديد ... ذلك الذكاء الشديد الذي مكَّنَه من قيادة المنظمة الإجرامية الأولى في العالم.

ولكن الشياطين لم يكونوا أقل قوة أبدًا، أو أقل ذكاء.

وصوَّب الشياطين مدافعهم الرشاشة نحو الطائرتين، ولكنَّهما ناوَرَتا بمهارة، وابتعدت الاثنتان ... ثم عادتا تهاجمان الشياطين على شكل رأس مثلث ... بدون أن تُتِيحَا للشياطين سرعة الرد، وانطلق صاروخ من إحداهما، فألقى الشياطين بأنفسهم على الأرض، ودَوَّى انفجارٌ رهيبٌ نتج عنه حفرة متسعة في قمة الجبل، وانطلقت الطائرتان بعيدًا.

وصاح «أحمد» بانتصار: هذا هو ما كنَّا نحتاج إليه بالفعل.

وألقى الشياطين بأنفسهم داخل الحفرة التي صنعها الصاروخ، وغطَّياها بأغصان الأشجار واختفيا فيها.

وأقبلت الطائرتان مرةً أخرى وهما تواصلان حصد قمة الجبل برصاصهما ... ولكن ... لم يكن هناك أي أثر للشياطين، ولم يرد أحدهم بطلقة واحدة.

وكان من الواضح لقائدي الطائرتين وركابهما المسلحين أنَّ صاروخهما قد أصاب الشياطين، ووضع نهاية لهم ... وكان الأمر بحاجة إلى تأكيد أخير.

اقتربت الطائرتان أكثر وأكثر من قمة الجبل ... وحلَّقتا على ارتفاع منخفض ... لم يكن هناك أي أثر للشياطين ... ورفع قائد الطائرتين أصابعهما بعلامة النصر ... وفي نفس اللحظة هتف «أحمد»: هيا بنا الآن.

وانطلق صاروخان من قلب الحفرة، وانفجرت الطائرتان بصوت رهيب، وتناثرت أشلاؤهما فوق الجبل ... وابتسم الشياطين لأول مرةٍ منذ بَدء مهمتهم. وقال «عثمان»: لقد انتزعنا إحدى أشواك القنفذ ... سيعرف الآن أنه يواجه نُمورًا لا تخشى أشواكه.

أحمد: دعونا نهبط الجبل بسرعة فنحن فوقه في خطر، وربما يفكر «القنفذ» في إرسال مَن يهاجمنا من عصابته مرةً أخرى.

قيس: معك حق يا «أحمد» ... المهم الآن هو الوصول إلى مكان الفتيات وليس الاشتباك مع العصابة، فهذا يعطلنا.

خالد: لقد فقدنا الكثير من الوقت بالفعل بصعودنا هذا الجبل.

مصباح: ولكن لا أظن أننا سنستغرق وقتًا طويلًا في هبوطه.

وبسرعة خلع الشياطين قمصانَهم، وفوق ظهورهم كانت هناك مظلات الهبوط الصغيرة التي لا تحتل مساحة كبيرة.

وقفز الشياطين الستة من فوق قمة الجبل نحو الغابة البعيدة ... وسبحوا في الهواء مثل مجموعة من الطيور البشرية مبتعدين عن الجبل والريح تدفعهم نحو الغابات ... وأخيرًا انفتحت مظلاتهم، وتأرجحوا في الهواء ... وفي وقت قليل كانوا يلمسون الأرض على حافة الغابات، وبسرعة لموا المظلات.

ولحسن حظهم كانت سيارتهم الجيب لا تزال في مكانها. ابتسم «أحمد» وهو يأخذ مكانه فوق عجلة القيادة ... يبدو أن «القنفذ» شديد الثقة بنفسه، ولم يتوقع هبوطنا أحياء من فوق الجبل، ولذلك ترك سيارتنا.

ضحك «عثمان» وقال: لا بد أنه سيَعَضُّ أصابع قدميه ندمًا عندما يعرف ما جرى للطائرتين.

ومن بعيد ظهرت سيارات الشرطة وهي تحاصر الجبل، وتطوِّقه بعد انفجار الطائرتين، وكان الاضطراب يسود المكان، والآلاف من البشر قد تجمعوا أسفل الجبل.

تبادل الشياطين الستة نظرة متفاهمة، وقاد «أحمد» السيارة الجيب مبتعدًا عن المكان ... عائدًا إلى العاصمة مرة أخرى، والليل قد هبط على المكان.

كانت سرعة السيارة الجيب عالية جدًّا، و«أحمد» يقطع بها الطريق المظلم على حدود الغابات، وقد أضاء الكشَّافين الأماميين؛ لينيرا الطريق أمامه مثل عيني وحش خرافي تنفثان النار على الطريق، حتى إن القردة والحيوانات البرية راحت تجري صارخة مبتعدة.

وفجأة صاح «فهد»: حاذر يا «أحمد».

وجاء التحذير متأخرًا، فمن قَلْب الظلام برز قطيعٌ من الفيلة ليسدَّ الطريق، وقد أثارته أضواء السيارة القويَّة.

وكان من المستحيل تفادي القطيع ... كما كان الاصطدام به يعني النهاية المؤكدة للشياطين عندما تهجم عليهم الفيلة فتحطمهم في ثورة غضبها الهائلة.

ولكن الشياطين لم تكن تعرف لكلمة المستحيل موضعًا في قاموسها العملي ... خاصة «أحمد».

في نفس اللحظة التي جاء فيها تحذير «فهد» لـ «أحمد»، أدار «أحمد» عجلة القيادة بقدر المستطاع، وضغط فوق دواسة البنزين، فزأرت السيارة الجيب بصوت حاد، ودارت حول نفسها كوحش صريع، ثم اندفعت لتصطدمَ بأقرب شجرة.

وحدث ما توقعه الشياطين، فقد اهتاجت الفيلة لما حدث، وظنَّت الجيب عدوًّا يحاول معاكستها، فزأرت في غضب رهيب، واندفعت تدك الأرض نحو السيارة.

وصاح «عثمان»: غادروا السيارة في الحال وإلا سَحَقْتنا الفيلة.

وقفز الشياطين من أماكنهم داخل السيارة، واندفعوا يَعْدون في قلب الغابة، وقبل أن يبتعدوا بأقل من خمسين مترًا، دَوَّي انفجار هائل هزَّ المكان كأنَّه زلزال، وتناثرت السيارة الجيب وقد تحولت إلى شظايا.

سقط الشياطين على الأرض من شدة الانفجار، وتبادلوا النظرات ذاهلين ... وأسرعوا يتسلقون رءوس الأشجار هاربين من أمام قطيع الفيلة الذي اندفع يجري في كل اتجاه، وقد أصابه الانفجار بالجنون.

وبعد وقت هدأت الفيلة، وابتعدت تمامًا، فهبط الشياطين إلى الأرض، واقتربوا من سيارتهم المحطمة التي أمسكت بها النار، وقد سقط عدد من الفيلة قتلى بسبب الانفجار.

قال «أحمد» غير مصدق: لقد كانت هناك قنبلة موقوتة شديدة الانفجار في سيارتنا.

فهد: ولولا هذه الفيلة واعتراضها طريقنا لكانت نهايتنا.

عثمان: يبدو أنَّ زعيم «سادة العالم» الجديد ليس من الغفلة التي تصورناها ... لقد وضع في حُسبانه احتمال نجاتنا وركوبنا سيارتنا مرةً أخرى؛ ولذلك وضع رجالُه قنبلةً موقوتةً داخل السيارة؛ لتنفجرَ ونحن فيها.

وتَنَدَّت قطرات من العرق فوق جبهة «مصباح» وقال: وما العمل الآن؟ إنَّنا في موقف سيئ؛ فالوقت ليلٌ، والمدينةُ بعيدة، وكل ثانية تمرُّ علينا ليست في صالحنا أبدًا.

تَبَادَل الشياطين النظرات في صمت ... وبدا كأنَّ الطبيعة التي أنقذتهم من الموت منذ دقائق، قد تحالفت ضدهم مرةً أخرى.

مفاجأة ... وخطة جديدة

سار الشياطين مسافة نصف ساعة، عندما ظهر كشَّافُ سيارة كبيرة من خلفهم، ولوَّح الشياطين للسيارة فتوقفت، وكانت سيارةً أمريكية عريضة طراز «بدفورد» من النوع الذي يستخدم للسير والإقامة داخل الغابات، وكان صاحبها أجنبيًّا، أحمرَ الوجه، يرتدي ملابس الصيد، وأطلَّ نحو الشياطين وقال بلهجة مَرِحة: هل أعجبكم السير في الغابات ليلًا؟ إنَّها متعة، لولا أنَّ بعض الأسود والنمور لا تحب من يتجول قريبًا من عرينها.

أحمد: لقد ضللنا طريقنا عن بعض أصدقائنا، ولم يكن أمامنا حلٌّ غير العودة إلى «نيروبي» على أقدامنا.

قال الصياد: أنتم حسنو الحظ لمصادفتكم لي؛ فقد كنت أصطاد بالقرب من الجبل، ويبدو أنَّني عدت في الوقت المناسب. اركبوا السيارة فإنني متجه إلى العاصمة أيضًا.

أسرع الشياطين يركبون السيارة الكبيرة وهم يشكرون صاحبها، وانطلق السائق وهو يدندن بأغنية إسبانية تتحدث عن أمجاد الصيد.

نظر «أحمد» إلى «عثمان» وقال له بلغةِ الأصابع: إنَّني أشك في هذا السائق، وأظنُّ أنَّه تابعٌ لعصابة «سادة العالم».

تساءل «عثمان»: ولماذا؟! إنَّه يبدو شخصًا مرحًا لا يُريب.

أحمد: كيف أمكنه اجتياز الطريق الذي كانت تسدُّه الفيلة القتيلة واللحاق بنا ... وهذا يعني أنَّه كان يختفي بسيارته في مكان ما داخل الغابات، ولم يأتِ من الجبل كما قال، هذا بالإضافة إلى أن تظاهره بعدم الاهتمام يضاعف الشك فيه.

عثمان: معك حق يا «أحمد» ... ما العمل الآن؟

أحمد: ربما يقودنا هذا الرجل إلى فخٍّ جديدٍ، ومن المؤسف أنَّ أسلحتنا كلها قد ضاعت داخل السيارة عندما انفجرت، وإلَّا لذهبنا معه إلى الجحيم لمواجهة العصابة، ومن الأفضل لنا أنْ نسايره ونتظاهر بعدم الشك فيه حتى نخرج من الغابات على الأقل.

هزَّ «عثمان» رأسه بنعم، ونقل إلى بقية زملائه الحديث الذي دار بينه وبين «أحمد»، وطلب منهم التزام الصمت والترقب.

وأخيرًا ظهرت مشارف «نيروبي»، والتفت السائق نحو الشياطين قائلًا: ها قد وصلنا ... ويبدو أنَّ هناك استقبالًا ينتظرنا.

وما كاد ينهي عبارته حتى لمعت في الأمام أضواءُ كشَّافاتٍ عديدةٍ ... كان هناك ما لا يَقل عن عَشْر سيارات تنتظرهم خارج الغابات ... وكان واضحًا أنَّها تخصُّ العصابة، وفي نفس اللحظة أوقف الصياد سيارته، وأمسك مدفعًا رشاشًا التقطه من تحت قدميه، وصوبه نحو الشياطين وهو يقول ساخرًا: لقد وصلنا إلى المحطة الأخيرة أيُّها السادة ... إنكم دائمًا تقعون في الشَّرَك مثل مجموعة غبيَّة من الفئران.

وهنا حدث شيئان في نفس اللحظة: انفتح باب السيارة بدفعةٍ قويةٍ من قَدَمِ «أحمد»، وامتدت قبضة «عثمان» كالقذيفة نحو الرجل الذي وجد نفسه يسقط خارج السيارة، والتقط «قيس» مدفع الرجل الرشاش وصاح: هيا بنا.

وعلى الفور أخذ «أحمد» مكان رجل العصابة أمام عجلة القيادة، وانطلق بها عائدًا إلى الغابة، وعلى الفور انطلقت سيارات العصابة خلف الشياطين.

وانْحَرفَ «أحمد» خلف بعض الأشجار، ومَرَقَت سيارات العصابة أمام الشياطين الذين صوَّبوا مدفعهم الرشاش الوحيد نحو آخر سيارتين، فانفجرتا وتصاعد منهما لهبٌ هائلٌ.

وهتف «أحمد»: هيا بنا فالسيارتان المحترقتان ستسدان الطريق على باقي السيارات، ولن تستطيع مطاردتنا.

وقفز الشياطين إلى السيارة الـ «بدفورد» مرةً أخرى، وانطلقوا في سرعة بالغة. وأخيرًا وصلوا إلى فندق «السماء الزرقاء».

وكان أول ما فعله الشياطين أنْ قاموا بتفتيش حجراتهم تفتيشًا دقيقًا بحثًا عن قنابل موقوتة أو أجهزة تنصت ... ولكنْ لم يكن هناك أي منها.

قال «عثمان» ساخرًا: يبدو أنَّ العصابة لم تتوقع نجاتنا هذه المرة.

مصباح: إنَّنا لم نواجه عدوًّا بمثل هذا الخُبْث والاحتياط من قبل.

قيس: إنَّ زعيم «سادة العالم» الجديد يبدو ماهرًا في أسلوب حرب العصابات الذي يستخدمه ضدنا.

خالد: ولكنَّنا تمكنَّا من الإفلات، ولقنَّاهم درسًا قاسيًا.

هتف «أحمد» في غضبٍ وتوترٍ: ولكن ما الفائدة؟ لقد شغلتنا العصابة بمواجهات خاطفةٍ، ومطارداتٍ، حتى كدنا ننسى هدفنا الأساسي ... لقد جئنا هنا أساسًا لإنقاذ زميلاتنا من الشياطين.

وساد الصمت والحزن على وجوه الشياطين ... كان «أحمد» محقًّا، ولكنَّهم لم يدخروا جَهْدًا في صراعهم مع العصابة، وإنْ كان ما بذلوه لم يؤدِّ إلى نتيجةٍ ... وها هو يومهم الثاني قد بدأ في «نيروبي» بدون أن يَعثُروا على مكان الفتيات ... في حين أنَّ كلَّ دقيقة تمرُّ تُمثل خطرًا شديدًا على حياة «إلهام».

قال «أحمد» بعد لحظةِ تفكيرٍ: من المؤكد أنَّ زعيم «سادة العالم»، ذلك المجرم المدعو بـ «القنفذ» موجود في «نيروبي» ... إنَّ سرعة تحركات العصابة، ومفاجآتها المستمرة لنا تدلُّ على ذلك، ومن المؤكد أنَّ مقر العصابة يوجد قريبًا منا ... بل ربَّما أقرب مما نتصور.

تساءل «عثمان»: وما الذي يجعلك تظنَّ ذلك يا «أحمد»؟

أجاب «أحمد»: إنَّ محاولة العصابة إبعادنا عن «نيروبي» إلى الجبل والغابات يدل على أنهم يريدون إدارة المعركة بعيدًا عن مقرهم حتى لا تتجه الأنظار إليهم، فليس معقولًا أنَّ عصابةً بمثل هذا التنظيم تتخذ مقرًّا لها في الجبل أو الغابات ... بل من المؤكد أنَّ ذلك المجرم الشديد الذكاء «القنفذ» سوف يتخذ ستارًا بريئًا له ولعصابته أثناء إقامتهم المؤقتة في «نيروبي» لحين التخلص منَّا، وأفضل ستار لهم هو أن يتظاهروا بأنَّهم مجموعة من السياح الأجانب الذين جاءوا بغرض السياحة.

هزَّ الشياطين رءوسهم موافقين على استنتاج «أحمد»، وقال «فهد»: ولكنْ حتى إذا افترضنا صحة استنتاجك يا «أحمد»، فإنَّنا لن نستطيع حصر الأجانب أو السياح في العاصمة وفنادقها، فهذا عمل يتطلب وقتًا طويلًا لا نملكه.

ضاقت عينا «أحمد» وقال: إنَّنا لن نستطيع القيام بهذا العمل بالتأكيد، ولكنَّنا لو استخدمنا عقولنا فسوف نتمكن من تحديد مكان العصابة بالتقريب.

وصمت لحظةً ثم أضاف: إنَّ اختطاف الفتيات يدلُّ على أنَّ العصابة كانت تراقبهم من مكان قريب، وربَّما كانت تعدُّ الخطة لخطفهنَّ داخل الفندق لولا مرض «إلهام» المفاجئ، فتغيرت الخطة بعد أنْ صار سهلًا اختطاف العصابة للفتيات داخل الطائرة المزيَّفة ... كذلك فإنَّ التقاط العصابة للرسالة التي أرسلتها الفتيات تدلَّ على أنَّها تتخذ مكانًا قريبًا ... قريبًا جدًّا.

وتقابلت عيون الشياطين في استنتاجٍ مذهلٍ ... تُرى هل تُقيم العصابةُ في فندق «السماء الزرقاء»؟

هتف «خالد»: احتمالٌ مذهلٌ.

أحمد: ولكنَّه مُحتَمَل ... إنَّ أفضل مكانٍ لكي تراقبنا فيه العصابة هو نفس الفندق الذي نقيم فيه، وتذكروا أنَّ الرصاصة التي قتلت الشاب الأسمر الذي كان يتظاهر بمراقبتنا ليخدعنا ويخبرنا أنَّ مقر العصابة في الجبل، هذه الرصاصة انطلقت من مكانٍ قريبٍ ... من الفندق مثلًا.

فهد: ولكنْ إذا كان هذا الاستنتاج صحيحًا فقد كان من السهل على العصابة حصدنا بالرشاشات أمام الفندق، أو حتى وضع قنابل في حجراتنا تنفجر بمجرد دخولنا المكان.

قال «أحمد»: لا يا «فهد» ... إن «القنفذ» لا يفكر بمثل هذه الطريقة، فإنَّ مثل هذا العمل كان كفيلًا بلفت أنظار الشرطة إلى المكان وتعريض العصابة للخطر، ولذلك فقد جرَّنا إلى مكان بعيدٍ يجري فيه العراك ... ولست أشكُّ أيضًا أنَّ العصابة قامت بشراء هذا الفندق، وإخلائه من العمَّال والنزلاء؛ لكي تقيم فيه وحدها ويسهل لهم مراقبتنا.

قال «عثمان» ذاهلًا: إذن فنحن داخل عرين الأسد.

أحمد: بل وبين فكَّيه ... ولست أشكُّ أنَّ «إلهام» و«هدى» و«زبيدة» و«ريما» بداخل الفندق في إحدى الحجرات أَسْرى، أو ربَّما داخل زنزانةٍ سريةٍ تحت الأرض في الفندق، فمَن السهل نقلهنَّ بعد الاختطاف إلى الفندق مرةً أخرى، فهناك غابة تمتد خلف الفندق، وسَيَسْهُل نقل الفتيات أسرى من خلالها.

هتف «عثمان» ذاهلًا: لقد وضحت الأمور تمامًا، إنَّ العصابة لم تشأ خطف الفتيات أثناء إقامتهنَّ في الفندق حتى لا نأتي نحن ونبحث عنهنَّ في نفس المكان، بل قامت باختطافهنَّ بعيدًا ثم أعادتهنَّ إلى الفندق، ومن المستحيل طبعًا أنْ يشُك أحدٌ في ذلك، فيا لهذا الرجل الجهنمي الذي يخطط لهذه العصابة أعمالها!

قفز «قيس» في غضبٍ هاتفًا: وماذا ننتظر؟ دعونا نَدُكُّ هذا الفندق على رءوس من فيه ونُخَلِّص الفتيات.

اعترض «أحمد» قائلًا: سيكون هذا عملًا انتحاريًّا، قد ندفع ثمنه حياة من نريد إنقاذهنَّ.

تبادل الشياطين النظرات، وأكمل «أحمد» بهدوءٍ: إنَّ الفندق تحت سيطرة العصابة، وليس لدينا السلاح الكافي لمواجهتها ... وعلى ذلك فمن الأفضل القيام بخُدعةٍ لإخلاء الفندق من رجال العصابة أو أغلبهم، حتى يَسْهُل علينا إنقاذ زميلاتنا.

عثمان: وكيف ستتمكن من خداع العصابة؟

أحمد: سوف نتظاهر بإرسال رسالة لرقم «صفر»، مستخدمين الشفرة القديمة وموجة الإرسال التي ألغَاها رقم «صفر» بعد أن اكتشفتها العصابة، وبالطبع لن تصل الرسالة إلى رقم «صفر»، ولكنْ العصابة ستلتقطها، وهم لم يعرفوا بتبديل الموجة والشفرة، ولذلك فسوف يُصدِّقون محتوى الرسالة، وهكذا نقودهم نحن إلى الفخ هذه المرة.

خالد: فكرة مدهشة ... ولكن ما هو مضمون الرسالة التي سنخدع بها العصابة؟

أجاب «أحمد» في هدوءٍ: سوف نقول في رسالتنا إنَّنا تمكنَّا من تحديد مكان العصابة بالضبط، وسوف نشن عليها هجومنا الأخير خلال ساعة!

وهنا حملق بقيَّة الشياطين في «أحمد» ذاهلين.

بين أشواك القنفذ

قال «أحمد» شارحًا: إنَّنا بالطبع لن نقول في رسالتنا أنَّنا اكتشفنا أنَّ العصابة تقيم في نفس الفندق، بل سنتظاهر بأنَّنا اكتشفنا أنَّ مقر العصابة يقع وسط الغابات خارج العاصمة، وسوف نركب سيارتنا ونتجه إلى هناك بالفعل، وسوف تقوم العصابة بتتبعنا، وفي نفس الوقت نُضللها بسرعةٍ، لنعود إلى الفندق لإنقاذ زميلاتنا أثناء غياب رجال العصابة.

هتف «قيس»: فكرة رائعة.

واحتضن «عثمان» «أحمد» قائلًا: إنَّك لست مقاتلًا بارعًا فقط، بل ومفكرٌ عظيمٌ أيضًا.

وأحضر «خالد» جهاز الإرسال، وبدأ «أحمد» في نقل رسالته الوهمية إلى رقم «صفر»، وبعد دقيقتين التفت إلى بقيَّة الشياطين: لقد انتهت الرسالة.

ونظر «أحمد» في ساعته قائلًا: لا بد أنَّ العصابة التقطت الرسالة، فلنترك لهم عشر دقائق حتى يتأهبوا لمطاردتنا.

ومضت الدقائق العشر بطيئة، وفي الخارج كان الفجر يوشك على البزوغ، وارتدى الشياطين ملابس قاتمة، وأسرعوا إلى سيارتهم الـ «بدفورد» وانطلقوا بها.

وفي حذر أطل «عثمان» برأسه للخلف ... وكانت هناك عشر سيارات على الأقل تتبعهم عن بُعد لكي لا تثير الشك في نفوس الشياطين ... ابتسم «فهد» وقال: لقد نجحنا فالعصابة تَتْبَعنا.

أحمد: بقي تنفيذ باقي الخطة.

أسرع الشياطين بخلع ستراتهم، وتثبيتها فوق ظهور مقاعدهم، وكانت بقية خطة الشياطين أن يقفزوا من السيارة عند أقرب مُنحنى، ويظل «خالد» بداخلها يقودها، فَتُواصل سيارات العصابة مطاردتها وهي تظنُّ أنَّ الشياطين لا يزالون بداخلها عندما يلمحون عن

بُعد ستراتهم المثبتة في مقاعد السيارة، على أن يقوم «خالد» بتضليل العصابة والعودة إلى الفندق لمساعدة الشياطين في مهمتهم.

وعند أول منحنى هتف «أحمد»: الآن.

وفي ثانية واحدة قفز الشياطين الخمسة إلى الأرض، وأسرعوا يَخْتفون داخل أقرب المنازل، على حين واصلت سيارتهم انطلاقها. ومن الخلف أسرعت سيارات العصابة بمطاردتها بدون أن تنتبه لخدعة الشياطين.

وأسرع الشياطين عائدين إلى الفندق مرةً أخرى، وكلٌّ سلاحهم مدفع رشاش لا يحتوي إلا على عدد قليل من الطلقات ... تسلَّل الشياطين داخل الغابة القريبة التي يطلُّ عليها الفندق من الخلف، وأسرعوا باختراقها، وظهر أمامهم الفندق من الخلف بريء المظهر، يشمله الهدوء كأنَّما لا يسكنه أحد. همس «عثمان»: أعتقد أنَّ الفندق صار خاليًا من رجال العصابة.

أحمد: سيكون هذا أفضل، فهو يتيح لنا فرصة إنقاذ الفتيات في هدوءٍ وبلا خطر.

تسلَّل الشياطين الخمسة نحو سور الفندق، وتسلَّقوه، وقفزوا إلى حديقته ... ولم يصادفهم أي مخلوق فتسلَّلوا داخلين، وفي قلب الفندق لم يكنْ هناك أي مخلوق، ولا حتى موظف الاستقبال أو الخدم ... رفع «فهد» يده بعلامة النصر قائلًا: لقد كان استنتاج «أحمد» صحيحًا، فكل العاملين في الفندق من أفراد العصابة.

مصباح: دعونا نبحث عن زميلاتنا.

عثمان: لا أظنَّ أنَّ العصابة ستضعهنَّ داخل إحدى الغرف العادية مهما كانت الحراسة عليهنَّ من الخارج؛ لأنَّهم يعرفون قَدْرَ الشياطين ... ولا بد أنَّ العصابة أَسَرتهنَّ داخل حجرات سرِّية يستحيل الخروج منها.

أحمد: هذا مؤكد، دعونا نبحث عن سرداب، أو دهليز يوصل إلى حجرة سرِّية.

وانتشر الشياطين في المكان يتفحَّصون كلَّ شبرٍ فيه، وأخيرًا اهتدى «عثمان» إلى مدخلٍ سرِّي خلف إحدى اللوحات الكبيرة، فأَزَاح اللوحة وضغط فوق جزء بارز بالجدار، فانزاح الجدار، ودار حول نفسه كاشفًا عن سردابٍ معتمٍ هابطٍ لأسفل.

أسرع الشياطين بدخول السرداب يتقدَّمهم «أحمد» بمدفعه الرشاش ... كان السرداب شديد الظلام تفوح منه رائحة رطوبة عَطِنة ... وانحرف السرداب مرتين قبل أنْ ينتهي ببابٍ حديديٍّ ضخمٍ يسد الطريق أمامهم، ووقف الشياطين لاهثين وهم يتساءلون: تُرى هل تختفي الفتيات الأربع خلف هذا الباب؟

كان ذلك هو أمل الشياطين الوحيد المتبقي لهم ... ودقَّ قلب «أحمد» بشدَّة، وصاح من وراء الباب: هل يوجد أحد بالداخل؟

ومن خلف الباب جاءهم صوتٌ ضعيفٌ واهنٌ، وقفز «عثمان» من الفرحة صارخًا: إنَّه صوت «زبيدة».

والتمعت عيون الشياطين ولم يصدقوا أنفسهم، وصوَّب «أحمد» مدفعه الرشاش نحو قُفْل الباب، وأطلق آخر دفعة رصاص به ... وتحطم القُفْل وانفتح الباب.

وعلى الضوء الشاحب للمبة كهربائية ضعيفة داخل الحجرة العطنة ظهرت أربعة أشباح، إحداهنَّ لفتاة ممددة فوق فراش خشن على الأرض غائبة عن الوعي كانت هي «إلهام» ... والأشباح الأخرى كانت «هدى» و«زبيدة» و«ريما».

صرخت الفتيات الثلاث في فرحة عندما شاهدوا الشياطين الخمسة، وقالت «هدى» بعينين تلمعان بالدموع: لقد ظنَّنا أنْ نهايتنا ستكون في هذه الحجرة، ولم يَدُر في أذهاننا أبدًا أنَّكم ستفكرون في أنَّ العصابة تسجننا في نفس الفندق.

أسرع «أحمد» ينحني بجانب «إلهام» ويقيس نبضها ... كان ضعيفًا، ودرجة حرارتها مرتفعة جدًّا.

وقالت «زبيدة» باكيةً: لولا خَشْيتنا على «إلهام» لقاومنا العصابة، وما سمحنا لها بالقبض علينا أحياء أبدًا.

أحمد: لا بدَّ من نقل «إلهام» فورًا من هذا المكان، وإرسالها إلى أقرب طبيب، فحالتها سيِّئة.

والتمعت عيناه ببريق قاتل وهو يقول: أقسم إنني سأعود إلى هذا «القنفذ» المتوحش لأذيقه طعم رصاصاتي.

وما كاد «أحمد» يُنهي عبارته حتى جاء صوتٌ خشن أجوف من مكان ما يقول: إنَّها أمنية مستحيلة يا صديقي، فإنَّك لن تغادر هذا المكان لتعود إليه ثانية ... إنَّ «القنفذ» لا تخدعه مثل تلك الحيل الصغيرة كالتي قمتم بها لخداع رجالي، وإن كان التظاهر بتصديقها كان لجرِّكم إلى الشَّرَكِ النهائي الذي لن تغادروه أحياء أبدًا.

تبادل الشياطين النظرات ذاهلين.

واندفع «أحمد» كالمجنون نحو باب الزنزانة المحطم، وقبل أنْ يُغَادِره «أحمد» كان هناك باب آخر من الصلب قد خرج من الجدار ليسد الطريق أمامه.

وأدرك الشياطين أن «القنفذ» كان أذكى ألف مرة مما قدَّروا.

أخذ «أحمد» يدق على الباب الحديدي بقوة، وصاح في غضب رهيب: أيُّها المخادع الشرير.

دوت ضحكة عالية ساخرة ملأت المكان حولهم، وعاد «القنفذ» يقول: لولا ذلك ما تمكنت من الوصول إلى قيادة المنظمة ... لقد كان أمامي العشرات من الرجال الأقوياء، كان عليَّ إزاحتهم من طريقي للوصول إلى الزعامة، وكان يستحيل التخلص منهم جميعًا بالرصاص ... وكانت هناك وسائل أخرى عديدة أجيدها، ولحسن الحظ أو لسوئه، فإنَّ كل من أزحتهم من طريقي لم يكونوا يعرفون غير لغة الرصاص ... ولذلك كان يسهل التخلص منهم جميعًا ... إنَّ زعامة منظمة مثل «سادة العالم» أمر يستحق كل مخاطرة.

صاح «عثمان» في غضب جنوني: أيها المجرم!

– أشكرك يا صديقي، فأنا لا أستطيب شيئًا قَدْرَ أنْ يوجِّه لي أحدُ الأشخاص السباب، فهذا يدل على أنَّني قمت بعملٍ جيد، وفي الحقيقة فإنَّ التخلص منكم كان يتطلَّب عملًا ماهرًا أظنُّ أنَّني قمت به بنجاح، فالجميع يعرفون أنَّكم أخطر مجموعة قتالية في الشرق الأوسط، وربَّما في العالم كله، ولطالما تسببتم في فشل أعمالنا من قبل، وألحقتم بنا خسائر عديدة، ولذلك كان أول ما فكرت فيه عندما توليت الزعامة هو التخلُّص منكم ... فبدونكم لا تقوم لمنظمتكم قائمة ... وبرغم أنَّ الصراع معكم قد طال قليلًا فقد كنت برغم ثقتي في براعتكم واثقًا في النهاية؛ لأنَّني دائمًا كنت أضع نفسي في مكانكم، وأتساءل ما الذي يمكنكم استنتاجه وكيف تفكرون؟ وها أنتم ترون أنَّ النتيجة النهائية كانت جيدة تمامًا.

صاح «أحمد»: إنَّ معنا مريضة وهي بحاجة إلى علاجٍ عاجلٍ ... ثق أنَّنا مستعدون لأنْ نفعل أي شيءٍ تطلبه مقابل السماح بإخراجها من هذا المكان وعلاجها.

أجاب المجرم بصوت ساخر: يا عزيزي ... من المؤسف أنَّ العواطف الرحيمة ليس لها مكان في قلبي، وإلا ما كنت جديرًا بمنصبي ... وما الداعي إلى علاج زميلتكم إذا كانت في النهاية ستموت معكم؟ إنَّ عواطفكم وطيبة قلبكم هي التي أوقعت بكم جميعًا في قبضتي، ولو كنتم قررتم التضحية بفرد في سبيل الباقين ما كان هذا مصيركم.

وأطلق ضحكة ساخرة عالية أودعها كلَّ كراهيته وحقده.

وتقابلت نظرات الشياطين في غضب رهيب ... غضب لم يجرِّبوه من قبل أبدًا ... غضب لا مثيل له أبدًا ... كانوا في مكان منقطع عن العالم لا يَدْري بمصيرهم أحدٌ، وليس معهم سلاحٌ، بل وأحدهم مريض يحتاج إلى علاج عاجل ... كان أملهم الوحيد والأخير هو «خالد» في أن ينجح في العودة للفندق واكتشاف الخدعة وإنقاذهم.

وفي نفس اللحظة تبدد ذلك الأمل تمامًا ... عندما انفتَح الباب الحديدي فجأة، ودفعت يَدٌ غليظةٌ «خالد» إلى الداخل وعاودت إغلاقه.

وكانت نظرةٌ واحدةٌ إلى وجه «خالد» كفيلةً بأنْ يَعْرفَ الشياطينُ مِقْدَار الضرب الذي تلقاه من أفراد العصابة.

كان وجهه مليئًا بالدماء والخُدوش، وأسرع الشياطين نحوه، وقال «خالد» بصوتٍ متألمٍ: لقد حاصروني بسلاحهم، كانوا أكثر من عشرين شخصًا، وكان من المستحيل التغلب عليهم بلا سلاح.

انتفض «عثمان» غاضبًا وصاح كأنَّه يخاطب الجدار: أيها المجرم المتوحش المدْعُو بـ «القنفذ» ... أقسم لأُريحن العالم من شَرِّك.

وأجابه صوت زعيم العصابة يقول: لن يتسع الوقت لك للقيام بذلك يا عزيزي ... فبعد ثلاث دقائق بالضبط ستكونون جميعًا ضمن عالم الأموات.

وفي نفس اللحظة بَدأَ الشياطين يشمُّون رائحة غاز سام ينبعث من بعض الفتحات الدقيقة في سقف الزنزانة ليملأ المكان.

أعظم رجل في العالم

أخذ الوقت يتناقص بسرعة رهيبة، والغاز السام ينتشر في الزنزانة، وكانت «إلهام» راقدةً لا تحس شيئًا حولها، على حين اندفع الشياطين يضربون الحائط بأيديهم وأرجلهم في حركات جنونية كأنَّهم يريدون هدم المكان بأيديهم بلا فائدةٍ، وتبقت ثواني قليلة.

وفجأة حدث انفجار هائل رجَّ المكان، حتى إنَّ الشياطين سقطوا من أماكنهم، وتهاوى الباب الحديديُّ أمامهم، وبدأت الأحجار تتساقط فوق رءوسهم.

ومن الخارج وصل إلى أسماع الشياطين أصوات طلقات رصاص سريعة أعقبتها أصوات انفجارات متتالية ... تبادل الشياطين النظرات ذاهلين ... وكان لذلك معنى واحد ... أنَّ هناك معركةً بالخارج بين أفراد العصابة وآخرين ... وهؤلاء الآخرون لا يمكن إلَّا أن يكونوا بَقيَّة الشياطين ... «بو عمير» و«باسم» و«رشيد» الذين ادَّخرهم رقم «صفر» للمعركة الأخيرة، وليتدخلوا لإنقاذ الشياطين في اللحظة أو الثانية الأخيرة ... ولا بد أنَّه كان يراقب ما يحدث للشياطين عن بُعْدٍ وعرف ما حدث لهم فتدخل لإنقاذهم ... كان رقم «صفر» رجلًا رائعًا بكل تأكيد يعرف متى يضرب ضربته الأخيرة ... حتى لو كان عدوه رجلًا رهيبًا مثل «القنفذ».

حمل «أحمد» «إلهام» فوق ذراعيه، واندفع الشياطين يغادرون الزنزانة المتهدِّمة، وأطلُّوا برءوسهم من فتحة السرداب ... كان الفندق قد تحول إلى أنقاض بعد أن نسفه الشياطين الثلاثة ... واندفع «بو عمير» نحو الشياطين وهو يحمل حقيبة مليئة بالأسلحة ألقاها نحوهم، وكان من الواضح أن الشياطين الثلاثة بحاجة إلى معونة بقية زملائهم.

وعلى البعد سُمِع تراشق بالرشاش بين «باسم» و«رشيد» وأفراد العصابة ... وعلى الفور أخرج الشياطين الأسلحة من الحقيبة، واندفعوا نحو العصابة ... لقد جاءت لحظة الانتقام.

كان هناك أربعة أفراد من العصابة يحتمون خلف إحدى الأشجار في الحديقة، وبقنبلةٍ يدويةٍ أطاح بهم «أحمد» وقتلهم، وبدفعة رشاش حصد «عثمان» مجموعةً أخرى من العصابة كانت تندفع محاوِلة تطويقهم.

وكانت هناك مجموعة أخرى من رجال العصابة تحتمي خلف البناء المتهدم، وتطلق الرصاص والقنابل اليدوية على الشياطين ... وزحف «فهد» و«خالد» بين الأنقاض حتى صاروا خلف أفراد العصابة، وبلا رحمة حصدوهم بمدافعهم الرشاشة.

وفي الغابة القريبة دَوَّت أصوات رصاصات متبادلة ... وكان من الواضح أنَّ «باسم» و«رشيد» في مأزق، وأنَّهما محاصران من بقية العصابة ... واندفع الشياطين على شكل نصف مروحة ليُطَوِّقوا المكان ... وبدأت المروحة تضيق مقتربة من مكان بقية العصابة.

وما إن ظهر أول فرد منها حتى صَوَّبت «زبيدة» مسدسها، وأطلقت واحدةً على إِثْرِهَا ترنَّح الطبيب المزيف وسقط قتيلًا.

أما «هدى» فاشتبكت مع المرضة المزيفة، وبضربة منها أطارت مسدس المرضة، ثم وجهت إليها ضربةً عنيفةً سقطت على إِثْرِهَا بلا حَرَاك.

وهتفت فيها «هدى»: إنَّ هذا يعلمك أنْ تكوني أكثر رحمة بالمرضى ... حتى لو كنت ممرضة زائفة.

وخفتت أصوات الرصاص وتلاشت ... واندفع الشياطين يطمئنون على بعضهم. كانت «ريما» ناقصة، ولم يكن هناك أي أثر لـ «إلهام»، وقال «بو عمير»: لقد سَاعَدتُهُما على ركوب طائرة خاصة أرسلها رقم «صفر» كانت تنتظر قريبًا، وتَوَجَّهت إلى مقرِّ الشياطين بسرعة لعلاج «إلهام» ... وأرجو أن تصل الطائرة في الوقت المناسب.

قال «عثمان» في ابتهاج: لقد قضينا على كل أفراد العصابة التي كانت تختفي في هذا المكان.

غامت سحابة من الألم والحزن على وجه «أحمد». قال: لكنْ يبدو أنْ زعيمها قد فرَّ، فلا أثر له هنا.

قيس: وماذا تنتظرون؟ دعونا نطارد هذا المجرم فهو أحقُّ بانتقامنا.

أحمد: لا أظنُّ أنَّنا سنمسك به فهو شديد الدهاء، لقد نجح في الفرار هذه المرة، ولا بدَّ أنَّه ستكون هناك مواجهة تالية ... ومن المؤكد أنَّها ستكون الأخيرة بالنسبة لهذا المجرم.

ربت «فهد» على كتف «بو عمير» وقال له: لقد جئتم في اللحظة المناسبة لإنقاذنا.

ابتسم «بو عمير» وقال: كانت هذه هي أوامر رقم «صفر»، فقد كان يعلم أنَّكم ستواجهون عدوًّا شديد الذكاء قد يتمكن من الإيقاع بكم أيضًا.

وعندما تأكَّدنا من وقوعكم في أيدي العصابة، وتعرضكم لخطر الموت، كان التدخل الفوري، ولهذا قام بتقسيمنا إلى مجموعتين من البداية؛ حتى تقوم الثانية بتغطية الأولى في حالة وقوعها في خطر.

قال «أحمد» ساخرًا: كان زعيم «سادة العالم» يتباهى بمقدرته وذكائه ... وأظنَّ أنَّه الآن سيعرف أنَّه يوجد في هذا العالم من هو أذكى وأشد حيلة منه ... إنَّ رقم «صفر» رجل لا مثيل له حقًّا.

ومن بعيد تعالت أصوات سيارات الشرطة، ولم يكن لدى الشياطين وقت، أو فرصة للشرح، فاندفعوا نحو الغابة القريبة كما طلب منهم «بو عمير»، وهناك كانت تنتظرهم طائرة هليكوبتر حلقت عاليًا ... ثم انطلقت بعيدًا.

كان أوَّل ما شاهدته «إلهام» عندما فتحت عينيها هي وجوه الشياطين الباسمة وهم يحيطون بها، وقد امتلأت الحجرة بباقات الورد الجميلة.

وتندَّت عيون الشياطين بالدموع وأحسوا أخيرًا بالاطمئنان بعد ساعات طويلة من القلق و«إلهام» تخضع لعلاج مكثَّف.

وهتف «أحمد» بسرور: حمدًا لله على سلامتك يا «إلهام».

عثمان: لقد كنَّا في غاية القلق عليكِ، ولقد طَمأَننا الطبيب بأنَّها كانت مجرد حمى استوائية، ولحسن الحظِّ فإنْ بِنْيَتَكِ القويَّة، وقدرتك على التحمل هي التي جعلتك تَصْمدين للمرض يومين كاملين بلا علاج.

اعتدلت «إلهام» في فراشها بدهشةٍ، وسألت: ولماذا بَقِيت يومين بلا علاج؟ إنَّ آخر ما أتذكره هو ركوبي الطائرة التي أرسلها رقم «صفر» للعودة بي إلى المقر السري، فما الذي حدث؟ هل تحطمت الطائرة وسط الغابات ثم أمكنكم إنقاذي بعدها؟

تبادل الشياطين النظرات، ولم يشأ أحدهم أن يخبرها بالمعركة الرهيبة التي خاضوها لأجل إنقاذها.

قال «أحمد» باسمًا: إنَّ طائرتك لم تصل في موعدها بالفعل، والسبب «قنفذ» مشاكس دسَّ أنفه في المسألة فعطلنا لمدة يومين، ولكنَّنا تمكنَّا من قطع أنفه على كل حال، وفي المرة القادمة نَعِدُك أنَّنا سنتخلص منه نهائيًّا!

وأطلق الشياطين ضحكة عالية مرحة، و«إلهام» تنظر لهم بدهشة عظيمة بدون أن تفهم شيئًا.

هنـــداوي